

وجعل يمبل بنصفه الأعلى داخل الدُّكَان ليبعد ما أمكن عن الضوضاء، طويل القامة نحيلها وروي الجبهة والعينين. مُكَوِّر الذقن وأما صلعته فلم يبقي فوق مرأتها إلا جذور شعر أبيض مثل منابت شعر ذقنه، علي ذلك كان يتمتع بحيوية مرحة وتلتمع عيناه بنشاط وابتهاج. وبدا أنه ينظر إلى الداخل لا إلى الطريق ثم مال يمنة بمحاذاة صف من اللوريات الواقفة نسق التوار حتى وجد منفذًا إلى الشارع، وما كاد يجاوز مُقدمة اللوري الأخير حتى شعر بسيارة فورد تندفع نحوه بسرعة فائقة. وقال أحد الشهود فيما بعد إنه كان عليه أن يتراجع بسرعة وإنه لو فعل ذلك لنجا رغم سرعة السيارة، ندت عن الرجل صرخة كالعلاء وفي ذات الوقت انطلقت صرخات الفزع من المارة الواقفين على التوار، حتى تكون منهم سور غليظ منيع وانتشر في المنطقة الهرج، الرجل وهو يرتفع في الفضاء امتارا ثم يهوي فوق الأرض كشيء، وبسرعة وبدون أن ينظر إلى يساره كما يجب، وإذا لم يجد وجهها مستجيهاً عاد ليقول بلهجة خطابية: "لم يكن بإمكانني تفادي الصدمة". لا يوجد دم؟" عند فمه انظر. "كل ساعة حادثة من هذا النوع" وجاء شرطي مسرعاً وفتح له وقع قدميه ثغرة في السور الآدمي، خطوات فقط وعيونهم لا تحول عن الرجل ولا تخفي حدة تطلعها وإشفاقها وقال إنسان: "سيبقي هكذا حتى يموت ونحن لا نفعل شيئاً" فأجابه الشرطي بلهجة رادعة "أقل لمسة قد تقتله، وبوليس النجدة والإسعاف في الطريق إليه" واعتراض الحادث جانب الطريق واضطررت السيارات إلى الإلتفاف حول السور البشري مشاركة الترام في مشاة. فضاق بها حتى تحركت في بطء شديد وتجمعت في صفوف ممتدة ومتداخلة وهي تصرخ وتعوي بلا فائدة، ومن ركبها تلعلت أعين إلى الضحية في اهتمام وأعين تجنبت النظر في جذع. وجاء بوليس النجدة وراء صفارته الحلوانية فاتسعت الحلقة وغادرت القوة السيارة إلى الرجل الملقي وكان الضابط حاسماً وحازماً، فأصدر أمراً بتفریق المتجمعين، وتفحص الرجل بنظرية شاملة وسائل الشرطي: "ألم تحضر الإسعاف؟" وإذا لم تكن ثمة ضرورة إلى السؤال فإنه لم يلق بالاً إلى الجواب، وأعادوا على مسمع الضابط ما حدث منذ ما كان الرجل المجهول يتكلم في التليفون. وجاءت سيارة الإسعاف وأحاط رجالها بالرجل، وعندما أُرْقِدَ الرجل بحجرة الفحص في مستشفى الدمرداش، وقال الطبيب: "هذه الحوادث لا تنتهي"، وألقي نظرة عابرة على أسماء الأدوية، فأمل أن يصادف فيها ما يستطيع أن يستدل به على شخصية الرجل. فعاد إلى رأس الصفحة ولكن الرسالة كانت موجهة "إلى أخي العزيز أدامه الله" فاستاء من هذه المعاندة ولم يجد بداً من قرائتها. وامتد بصره فوق الوجه الأسطر إلى الوجه الباهت المشئوب بزرقة مخيفة المغلق كسر، ذلك الذي تحقق له أكبر أمل في الحياة وتسائل الطبيب عثرت على شيء؟ فانتبه إلى نفسه وابتسم بتسامة إستهانة ليدل على اعتياده أي شيء وقال "اليوم تحقق لي أكبر أمل في الحياة" بذلك بدأت الرسالة وعاد إلى القراءة متجنباً النظر إلى عيني الطبيب، أمينة وبهية وزينب في بيتهن، وهذا هو النصر المبين" ، وبعد تفكير طويل،